

الانفعال في القرآن الكريم والسنة النبوية نوعاً وأثراً

د . أحمد محمد نور إبراهيم*

مقدمة

الأحداث التي تقع للإنسان لها تأثير وجداني عميق ، فمنها ما يسر ويفرح ، فيترك ذلك في نفس الإنسان أثراً متفاوتاً قوةً وضعفاً ، ومنها ما يترك فرحاً غامراً يتعدى فيصل إلى مرحلة البطر ، ومنها ما هو مفرح مضحك ومسر ، ومنها ما هو خفيف الأثر يدفع إلى التبسم والسرور والانشراح .

ومن الأحداث ما يؤلم ويحزن ويضر ، فيتعمق الأثر في النفس ، فيحدث الغضب والعنف وفقدان القدرة وفقدان الوعي ، والنفس تحت تلك التأثيرات ترتفع حيناً ، وتنخفض حيناً وتسر يوماً وتحزن يوماً ، وتغضب أوقاتاً وتفرح أوقاتاً ، وتبقى النفس تحت تلك التأثيرات شداً وجذباً ، قد يشكل ذلك حالة عصبية عنيفة أو شيئاً خفيفاً من التأثير تزول آثاره بعد حين ، حسب قوة وقع التأثيرات عليها .

وفي هذا البحث أتتبع تلك التأثيرات التي تعتري النفس البشرية كما بين القرآن الكريم والسنة النبوية بعضاً منها تمثلت في الفرح بنوعيه والدهشة والخوف بأنواعه والحزن والأسى الغضب بأنواعه والتضجر والندم والتحسر ثم الحياء وكلها انفعالات داخل النفس وهناك انفعالات متعديّة تخرج من النفس إلى خارجها وتشمل : القتل والضرب والسب والخنق والطرد والنقل وكلها انفعالات سببها الغضب الشديد جاءت في ستة مباحث وعدة مطالب فكانت كما يلي :

* أستاذ مساعد للتفسير وعلوم القرآن بجامعة القرآن الكريم وكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي سابقاً

مباحث تمهيدية : تعريفاً للانفعال لغة واصطلاحاً

المبحث الأول : الفرح بنوعيه فيه مطلبان

المبحث الثاني : الخوف وانعكاساته فيه سبعة مطالب

المبحث الثالث : الحزن والأسى فيه مطلبان

المبحث الرابع : الغضب والتضجر فيه مطلبان

المبحث الخامس : الندم والتحسر فيه مطلبان

المبحث السادس : الانفعال المتعدي فيه ستة مطالب

الخاتمة

المبحث الأول

الفرح

(الفرح هو السرور) ^(١) (الفرح : نقيض الحزن) ^(٢) والحبور الذي أدخله حدث على النفس ، فانفعلت به فبدا عليها السرور ضحكاً أو ابتساماً ، والفرح نوعان في القرآن فرح مقبول عند الله والناس وأمر الله تعالى به قال : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ {٥٨} سورة يونس وفرح البطر الذي هو كفر بالنعمة كما جاء في حق قارون وحق اليهود ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ {٧٦} القصص .

المطلب الأول : الفرح المحمود

المسألة الأولى : الفرح بالقرآن

إن الله تعالى يأمرنا أن نفرح بما يستحق أن يُفرح الإنسان حقاً ، وهو القرآن فمن أوتي القرآن فقد أعطي نعمتي الدنيا والآخرة . فإن صاحب القرآن هو خير الخلق قال ﷺ : (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) ^(٣) فهو الشرف الرفيع ، والمنزلة العالية ، والقرآن يذهب مع صاحبه إلى الآخرة ، عكس المال والأهل .

والقرآن يدافع عن صاحبه عند سؤال الملكين والنبى ﷺ يقول : (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار)^(٤) فحفظ القرآن والقيام به تلاوة ليلاً ونهاراً شئ يستحق أن يتحاسد الناس فيه لأنه الكسب الذي يذهب مع صاحبه إلى القيامة وكذلك المال المبذول في سبيل الله آناء الليل والنهار ماعدا ذلك فهو جهل ومعرفة في غير معترك .

المسألة الثانية : فرح النبى ﷺ بفتح مكة

بشر الله تعالى عبده محمداً ﷺ بفتح مكة يوم تم التوقيع على صلح الحديبية في ذي القعدة سنة ٦ هجرية والتي فتحت في رمضان سنة ٨ هجرية قبل قرابة العامين من فتحها حيث أنزل عليه قوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ {١} لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا {٢} وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا {٣} ﴿ سورة الفتح

فالشروط الأربعة التي أملتها قريش وقبلها النبى ﷺ وهي :

- ١- أن يرجع عن العمرة هذا العام إلى العام القادم .
 - ٢- أن تقوم هدنة بين الطرفين لعشر سنوات .
 - ٣- أن يرد المسلمون كل من جاءهم من قريش مسلماً بغير إذن وليه .
 - ٤- من أراد أن يدخل في حلف المسلمين له ذلك ومن أراد أن يدخل في حلف قريش له ذلك فدخل بنو بكر مع قريش وخزاعة مع المسلمين .
- كانت هي الفتح لأن قريشاً لم تلتزم بما أملت وفرضت من شروط فكان فيما اشترطت الفتح والنصر . وإن بدا ذلك مجحفاً وظالماً للمسلمين في حينه .
- وفتح مكة ﷺ ودخلها مطأطأ رأسه تواضعاً لله تعالى ناسباً الفضل إليه قائلاً :
- (لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده)^(٥) وكان سروره، حمده وشكره لربه جل وعلا وذلك فرح رسول الله ﷺ .

المسألة الثالثة : فرح النبي ﷺ بفتح خيبر

وسر النبي ﷺ بعد صلح الحديبية بفتح خيبر التي سكنها اليهود الذين أجلهم من المدينة فكانوا أهل دسائس ومؤامرات فغزاهم وفتح خيبر حصناً حصناً ، وفي هذا الأثناء وفد عليه من الحبشة ابن عمه جعفر بن أبي طالب ومن معه من المهاجرين الذين لجأوا إلى الحبشة حينما عذبهم قريش فلما جاءوا لحقوا المسلمين في خيبر فسر النبي ﷺ بهم والتزم جعفر مسلماً ومقبلاً قائلاً : (ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدم جعفر !!) (١)

المسألة الرابعة : فرح سليمان عليه السلام

فرح نبي الله سليمان عليه السلام حين سمع النملة تحذر أخواتها من جيش سليمان المار في الطريق حذرته أن يحطمهم الجيش بغير قصد ، فلذا عليهم أن يدخلوا مساكنهم حتى لا يحطمهم

قال تعالى : ﴿وَحَشِرْ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ {١٧} حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {١٨} فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ {١٩} ﴿ سورة النمل

لقد حمد الله على ما سمع من قول طيب وحديث منصف وطلب من ربه أن يعينه على شكر النعمة .

المسألة الخامسة : فرح المؤمن يوم القيامة

وفي القيامة مشاهد الفرح للذي أوتى كتابه بيمينه فهو يخاطب الجمع منفعلاً هاشأً باشأً سعيداً فرح غاية الفرح يقول تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً {١٩} إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً {٢٠} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ {٢١} فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ {٢٢} قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ {٢٣} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا

أَسْتَفْتُمْ فِي الْيَّامِ الْخَالِيَةِ {٢٤} سورة الحاقة إنه الانفعال سروراً وفرحاً الذي أدخله بإعطائه كتابه بيمينه جعله يوجه خطابه للناس أجمعين في ذلك الموقف الرهيب والناس في شغل عنه يقول : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهٖ .. إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهٖ ﴾ فرح طمأنه والناس يومئذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه فإن آمن ، فحق له أن يفرح وحق له أن يستبشر إنها النجاة .

المطلب الثاني : الفرح المذموم (فرح البطر)

البطر هو : (الحيرة والدمشة) ^(٧) (الخروج عن الاستقامة) ^(٨) (قلة احتمال النعمة) ^(٩)

المسألة الأولى : فرح قارون

من الله على قارون فأعطاه من الكنوز ما يحتاج إلى الأقوياء من الحمال ليحملوا مفاتيح الكنوز التي تحوي كثرة من الأموال بشتى أصنافها ، والناس وجهوا لقارون النصيح فقالوا : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ {٧٦} ﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ {٧٧} ﴾ سورة القصص وقارون جدد النعمة ، وأنكر فضل الله عليه ، وأنكر أن يكون ما عنده من مال أعطاه الله إياه بل قال : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ اي : هو من خبرتي وعملي بالتجارة جاء هذا المال .

ثم خرج يخال في زينته وفاخر ملابسه ومراكبه وخدمه وحشمه مظهراً بطره فرحاً بالذي عنده ، فخسف الله تعالى به وبداره وما يملك الأرض فهو ينحط فيها غضباً من الله عليه لجوده النعمة وفضل الله عليه .. وكما قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ .

المسألة الثانية : فرح المخلفين

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ {٨١} فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {٨٢} سورة التوبة المخلفون الذين أبوا أن يخرجوا للجهاد في غزوة تبوك وأبوا أن يستأذنوا كما استأذن بعض من أرادوا التلخف فهؤلاء أبوا الاستئذان وأبوا الخروج فجلسوا وأبوا أن يبذلوا أموالهم في سبيل الله لهذا الجهاد وفرحوا بهذا التلخف وكان فرحهم شديداً عبروا عنه ضحكاً وسروراً واستهزاء بالجهاد وبالمسلمين وبرسول الله ﷺ ولعل ما دفعهم إلى الفرح بهذا التلخف أن عددهم كان كبيراً ، فأحسوا بقوة بهذه الجماعة هذا دفعهم إلى فرح والضحك ومشوا محرضين آخرين على عدم الخروج لهذه الغزوة معللين ذلك بالحر الشديد يومئذ .

والفرح الذي فرحوه عاد عليهم وبالأ ، فأنه تعالى يقول لهم في كتابه الكريم ، لنن خفتم من حر الصيف فأمامكم حر جهنم وهو حر دائم لا ينقطع وهو أشد من حر الصيف ، لو كنتم تفقهون . فليضحكوا لنجاحهم في التلخي وعدم الخروج من هذه الغزوة ، وليبكوا يوم القيامة بكاء لا ينقطع أبد الأبدين ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ التوبة (٨٢) .

المسألة الثالثة : فرح اليهود

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ {١٨٨} سورة آل عمران سأل النبي ﷺ اليهود عن شئ فكتموه عنه وأروه غيره ، وفرحوا بذلك وحدثوا إخوانهم بما فعلوه مع النبي ﷺ ليثبوا عليهم بهذا الفعل القبيح وحسبوا أن الله تعالى لم يكشف ولم يعلم بما فعلوه ولكنه سبحانه رصده لهم ووعدهم عليه العذاب يوم القيامة حتى لا يتناولوا على النبي ﷺ فقال : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ آل عمران (١٨٨) .

المسألة الرابعة : فرح المنافقين

قال تعالى : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ {٨١} فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {٨٢} فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ {٨٣} وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ {٨٤} وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ {٨٥} ﴾ التوبة

تبين هذه الآيات تخلف المنافقين من غزوة تبوك إما تخلفوا بغير إذن أو استأذنوا كاذبين وضحكوا مسرورين بتخلفهم ، ثم خص القرآن المنافقين بعقوبات صارمة متعددة . أولاً حرّمهم نعمة الخروج مع النبي في غزوة قادمة وحرّمهم من القتال ، ورضي لهم القعود مع الخالفين الأطفال والعجزة والنساء . ثم منع النبي ﷺ أن يصلي على أحد منهم مات ومنعه من القيام على قبره بعد الدفن لأنهم ماتوا على الفسق والكفر ، وأمر النبي ﷺ ألا يعجب بأموال وأولاد المنافقين فإنما أعطاهما الله لهم لتكون الأموال والأولاد عذاباً لهم إلى أن يموتوا على الكفر ، لقد جروا على أنفسهم نقمة الله تعالى بتصرفهم^(١٠) .

المطلب الثالث : الدهشة

الدهشة : ذهاب العقل من الفزع ونحوه ومن قول عمر حين سمع قول أبي بكر في وفاة النبي ﷺ فعقرت حتى ما أقدر على القيام^(١١) وفي رواية (فعقرت حتى لا تقلني رجلاي)^(١٢)

وهي حالة اندهاش واستغراب تعترى الشخص الذي يفاجأ بشيء ما كان يتوقع أن يراه أو أن يسمعه ، فإذا رآه اعترته هذه الحالة من الدهشة تريد شيئاً من

الوقت حتى تستريح النفس من هولها ومفاجأتها لتستقر على وضعها .

المسألة الأولى : دهشة سارة زوجة إبراهيم عليه السلام

فسارة زوجة إبراهيم عليه السلام لم تلد حتى صارت عجوزاً وزوجها بلغ مرحلة الشيخوخة وكلاهما تجاوز مرحلة الإخصاب والإنجاب ، ويفاجئ الملك إبراهيم وسارة ببشرى من الله تعالى أن سيلدا اسحق ، وسيكون من صلب اسحق يعقوب وأن الاثنين سيكونان نبيين ، وتبلغ الدهشة بسارة منتهاها وتلطم خديها وتقول : ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ {٧٢} (١٣) سورة هود لقد كان انفعالها عظيماً ولرد هذه الدهشة العظيمة .. ذكرها الملك بقدرة الله تعالى التي لا تحد فاطمأنت وارتاحت بما قدر الله .

المسألة الثانية : دهشة زكريا عليه السلام

وزكريا عليه السلام تبلغ به الدهشة أعلاها مع أنه قد سأل ربه أن يرزقه ابناً رضيعاً ، ويعجب من سرعة الإجابة التي أدهشته فقال : ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ {٨} قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ {٩} قَالَ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ {١٠} سورة مريم . لقد جاء الغلام كما طلبه زكريا رضيعاً ، ومن الله عليه بأن سماه يحيى ولم يسبقه أحد إلى هذا الاسم وخفف الله دهشة زكريا بأن قال : ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ ثم طلب من الله تعالى آية تؤكد أن ما بشر به كان حقاً من الله ولم يك خيالا فقال : ﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ فحبس لسانه وخاطب الناس بالإشارة .

المسألة الثالثة : دهشة إخوة يوسف عليه السلام

وإخوة يوسف عليه السلام جاعوا مصر يمتارون وقد الجأهم المحل وفقد المؤنة إلى التسوق في مصر فدخلوها وأعطاهم يوسف الحاكم ما أرادوا وشارطهم ، إن كانوا سيأتون مرة أخرى ليمتاروا أن يأتوا بأخيه من أبيهم الذي خلفوه

وراءهم، وإن لم يأتوا به فعليهم ألا يأتوا إليه فلن يعطيهم ، ولضمان عودتهم بعد إنذار التخويف ، أمر أن توضع بضاعتهم في رحالهم ضماناً ليعودوا بها إذا وجدوها ، فعادوا بها وبأخيهم ووفقه الله إن يجد شيئاً يحبس به أخاه معه من غير أن يعرفوا أنها حيلة ، فوضع إناء الملك في رحل أخيه الذي جاءوا به باعتبار أنه سرقة ، فحوكموا بقانون بلادهم بحبس السارق مقابل ما سرق ، ثم عادوا ليمتاروا واستجدوه أن يبيعهم وأن يتصدق عليهم لحاجتهم ، فذكرهم بفعلتهم ببوسف وأخيه فتأملوا ودققوا النظر فعلموا أن الذي يخاطبهم هو يوسف، أخوهم والذي ألقيه في البئر وطالت غيبته لعشرات السنين ونسوه فإذا هو حاكم عظيم .. فقالوا مندهشين ﴿ قَالُوا أَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ؟ ﴾ ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف (٩٠) لقد آذوه وأباه وبلغ الأذى بأبيهم أن فقد بصره حزناً وأسفاً وبكاء لا ينقطع ثم رد الله عليه بصره بإلقاء قميص يوسف عليه فأبصر ، وأقبل يعقوب وكل أسرته إلى مصر وسجدوا ليوسف كلهم تكريماً وتعظيماً بعد أن أجلس أبويه على عرش مصر معه لقد دهشوا أن رأوا من حسبه هلك ، فإذا هو حاكم يستجدونه ويقفون بين يديه معظمين مستجدين ثم ساجدين له ومعظمين .

المسألة الرابعة : دهشة مؤمن آل فرعون

ومؤمن آل فرعون ، الذي آمن بموسى عليه السلام وكنتم إيمانه ، ولما قال فرعون ذروني اقتل موسى ليدع إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ غافر (٢٨)

عجب المؤمن أن يقتل فرعون الكافر موسى ، الذي يدعو الناس إلى عبادة الله ، كيف يقتل الداعي إلى الله ، والهادي إلى الصراط المستقيم ، ورغم أنه يخفي إيمانه إلا أن الحدث أدهشه وأرتفع انفعاله أن قال ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ وهو لا يدري أنه بهذا القول قد كشف ما كنتم في نفسه من الإيمان

بموسى وما جاء به ودخل في معيته وأصبح من المؤمنين به ، ولعل عناية الله صرفت فرعون فلم يتأمل في ما قاله المؤمن وإلا فقد استوجب العقاب الذي يعاقب به فرعون كل مؤمن ، إنه انفعال المؤمن ودهشته إن تنتهك حرمان الله ، فيخرج ما يضره بغير رغبة منه^(١٤) .

المبحث الثاني

الخوف وانعكاساته : الرعب ، الفزع ، الذهول ، الاستغاثة ، الصراخ ، الصعق

المطلب الأول : الخوف

أشد حالات الانفعال التي تحدث منه ، فهو كما وصفه القرآن فقال : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْبُصُورُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ الأحزاب (١٠) ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ الأحزاب (١٩)

هذه حالة الخوف فالبصر يزيغ فلا تتركز الرؤية وترتفع سرعة ضربات القلب حتى وكأنه يكاد يصل الحجرة .. فيضطرب كيان الإنسان كله فلا يحسن التصرف . والخوف مراتب ودرجات فأشدّه حالة الصعق التي تفقد الوعي في حالة فقدان القدرة والتركيز وهي حالة السكر والذهول ، ثم حالة الخوف والاضطراب وكلها تحدث عنها القرآن .

المسألة الأولى : خوف يوم الأحزاب

والآيات نزلت في غزوة الأحزاب التي حشد لها حيي بن أخطب اليهودي أكثر من اثني عشر ألف مقاتل من كل القبائل ، جاءوا لقتل رسول الله ﷺ وقتل المسلمين ومحو الإسلام ففوجئوا بالخذق يحول بينهم وبين دخول المدينة فقعدها محاصرين شهراً ثم دب بينهم الخلاف ، وأرسل الله عليهم ملائكة وريحاً شديدة وبرداً فقلبت قدورهم وخلعت خيامهم فخافوا وانصرفوا ولم يحققوا هدفاً ولم يحرزوا نصراً لما أصابهم من خوف الريح والبرد والملائكة .

والمنافقون في صفوف المسلمين هالهم وأخافهم كثرة عدد الأعداء فحركهم الخوف ، فجاءوا إلى الرسول ﷺ يقولون ﴿إِنَّ بَيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ {١٣} الأحزاب وكذبوا ما وعدهم به رسول الله ﷺ وبشرهم به من فتح اليمن والشام والعراق وإنهاء حكم الفرس والروم .. وقالوا : ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ {١٢} الأحزاب وقالوا : يعدنا النصر والفتح وأحدنا لا يستطيع الآن أن يقضي حاجته وتلك حالة مرت بالمنافقين فكشفت كذب ادعائهم الإسلام ، وكذلك الشدائد فيها التمحيص والتبيين وإظهار معادن الرجال ، أما المؤمنون فقد كانوا الصامدين في هذه المعركة . وكانوا يؤمنون بصدق ما قاله رسولهم ﷺ ، ووعدته لأن النصر إنما يأتي عقب التمحيص والشدّة فقال تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ البقرة (٢١٤) فتحقق ما وعدهم به . لقد جاء نصر الله من غير قتال وكفى الله المؤمنين القتال بصبرهم وتوكلهم على الله

المسألة الثانية : خوف موسى عليه السلام :

قال تعالى : ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ {١٥} قال رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {١٦} قال رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ {١٧} فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ سورة القصص وقال تعالى : ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ {٢٠} فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {٢١} القصص وقال تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ {٦٧} قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى {٦٨} سورة طه قال تعالى : ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ {٤٣} فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ {٤٤} قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ {٤٥} سورة طه قال تعالى : ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ

مَنْ لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِذَاءً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ {٣٤} سورة القصص
 موسى عليه السلام تعرض قبل الرسالة إلى حالات خوف جرتها عليه مروءته ، فقد
 ناصر أخاه الإسرائيلي المغلوب الذي تعرض له القبطي فكانت الوكزة مميتة
 فأصبح خائفاً ، وانكشف أمره بالقتل فنصحته الرجل بالخروج لأن الملاء قد
 قرروا قتله فأصابه الخوف ، ثم خرج إلى مدين مستعيناً بالله وساعة قتل القبطي
 بالأذى كانت وطأة الفعل عليه عنيفة لأنه لم يقصد القتل فقتل ، وأصابه
 الإحساس بالذنب وأن فعله إنما هو من عمل الشيطان فارتفعت وتيرة الخوف
 عنده من وقع الجريمة وخوف عذاب الله فهو من بيت إيمان . ثم انكشف أمره
 بالقتل وقرار الملاء قتله أدخله في مساحة من الخوف جديدة فإلى أين يذهب ؟
 وكيف الطريق ؟ وأين الزاد ؟ وأين الرفيق ؟ وأين الدليل ؟ كلها أحاسيس
 أدخلته في خوف جديد . وبعد الرسالة خاف أن يذهب إلى فرعون الذي يعرف
 بطشه فطلب عوناً له أخاه هارون فهو أفصح وأعون على ذكرهما الله ، فأعطى
 ما سأل ولما بعثا سوياً قالوا : ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ
 يَطْغَى {٤٥} ﴾ طه فطمأنهما الله فذهبا ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ
 وَأَرَى {٤٦} ﴾ طه أن ابتلاء الأنبياء قبل وبعد الرسالة شئ وارد ، والله تعالى جعل
 لكل نبي عدواً شياطين الجن والإنس ، وكان من أعداء موسى ، فرعون
 وهامان وقارون والسامري لقد واجه كل أولئك مع ما كان في حياته من الخوف
 الذي استعان بالله منه وهذا هو العلاج الوحيد ذكر الله ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ
 قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ {٢٨} ﴾ سورة الرعد

المطلب الثاني : الرعب

يقال رعبته رُعباً ورُعباً ورُعباً : خوفته ، فارتعب (١٥) قال تعالى : ﴿ وَكَذَفَ فِي
 قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَنَأْسِرُونَ فَرِيقًا {٢٦} ﴾ سورة الأحزاب بنو قريظة بعد
 غزوة الأحزاب . وقال تعالى : ﴿ سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا

فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْزُيْبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ {١٢} ﴿﴾ سورة الأنفال الكفار من قريش يوم بدر . وقال تعالى : ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ {٢}﴾ ﴿﴾ سورة الحشر بنو النضير يوم غزوة أحد . وقال تعالى : ﴿سَنَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ {١٥١}﴾ ﴿﴾ سورة آل عمران كفار مكة يوم أحد . قال رسول الله ﷺ : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر) ^(١٦) هذه مواقف الرعب الذي أدخله الله في قلوب أعداء رسول الله ﷺ والمسلمين في كل حروبه وغزواته . فالرعب الخوف الشديد الذي يشل حركة صاحبه فيعجز عن الأداء والتصرف ، وهذا ما حدث لأعداء الله الذين قذف الله في قلوبهم الرعب فشل حركتهم عن أعاقه مسيرة الدين لأن الله تعالى يأبى إلا أن يتم نوره فلذا قال : ﴿سَنَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ أي شل حركتهم فقال موصياً : ﴿فَاصْزُيْبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْزُيْبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي اقطعوا الرقاب والأيدي والرعب جند من جنود الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ {٣١}﴾ المدثر وهكذا أرعبهم الله تعالى في كل الحروب ونصر المسلمين .

رعب أبي جهل

ولقد عرف الرعب في وجه أبي جهل الذي قال لأصحابه لئن رأيت محمداً مصلياً في الكعبة لألقين عليه حجراً فأقتله ، ولما رآه مصلياً يوماً وذهب ليلقي عليه الحجر انقلب راجعاً يحمل حجره فزعاً مرعوباً .

فسئل فقال : رأيت بيني وبينه جملاً ضخماً لو تقدمت لأكلني ^(١٧) ، قال تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى {٩} عَبْدًا إِذَا صَلَّى {١٠} أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى {١١} أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى {١٢} أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى {١٣} أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى {١٤} كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ {١٥} نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ {١٦} فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ {١٧}﴾

سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ {١٨} كُلَّا لَا تَطِيعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ {١٩} ﴿ سورة العلق

المطلب الثالث : الفرع

الفرع : الفرق والذعر من الشيء^(١٨)

قال تعالى : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ {٢١} إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاخْتُمَ بَيْنُنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ {٢٢} إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ {٢٣} قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ {٢٤} ﴾ سورة ص داود عليه السلام كان ملكاً ونبياً وحاكماً بين الناس يفصل بينهم ، فقسم دهره إلى ثلاثة أيام فيوم لأهله ويوم للقضاء ويوم لعبادة ربه ويوم عبادته لا يدخل عليه أحد ، ففوجئ بشخصين يتسوران المحراب ويدخلان عليه في خلوته فيفزع لهذا الفعل فزعاً شديداً ، والشخصان لما رأيا الفرع الذي انتابه طمأناه وقالوا : لا تخف . وشرحا قضيتهما فإذا هم شخصان غني يملك تسعاً وتسعين نعجة ، وفقير لا يملك إلا نعجة واحدة ، والغني يطلب من الفقير هذه النعجة ليكتمل ما عنده المائة ويصبح الفقير بلا شيء ، وينفعل داود عليه السلام لهذا الفعل من الغني نحو الفقير .. ويغضبه أشد الغضب ثم يصدر حكماً قائلاً : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ ثم يلتفت فإذا الرجلان قد اختفيا وعلم أنه ابتلى فخر ساجداً لله نادماً تائباً على ما أصابه من انفعال . أن القضاء يستوجب التؤدة وعدم الانفعال والانسياق وراء الأقوال فداود سمع من طرف واحد ولم يسمع من الآخر فوقع في البلاء .. ولم يستكمل شروط القضاء ، فأصبح ابتلاء الله له درساً للقضاة أجمعين .

المطلب الرابع : الذهول

الذهول : خطأ عن غفلة (سوء يعتري عن قلة التحفظ والنتيظ) ^(١٩)
 قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ {١} يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ {٢} سورة الحج المولى عز وجل يحذر الناس من هول يوم القيامة ، ويوصيهم بالتقوى التي فيها منجاتهم من ذلك الهول والقيامة خطوات متتالية وحلقات أخذ بعضها إثر بعض ، فالعلامة البعيدة التي تبشر بأن القيامة قد دخلت حيزها فبعثة الرسول ﷺ كانت الحلقة الأولى فقد قال القرآن ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ {٤٠} سورة الأحزاب فالرسالة ختمت . ثم تلا ذلك انشقاق القمر فقال تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ {١} سورة القمر الساعة دنت وعلامتها الثانية انشقاق القمر في عهد رسول الله ﷺ ثم بين الحلقات التالية التي تبدأ . ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ {١} وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ {٢} التكوين ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ {١} وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ {٢} الانقطار ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ {١} الانشقاق فتلك علامات . ثم الحلقة الرابعة بحدوث كل ذلك والناس يرون وهم في خوف بلغ مداه فهم في زلزلة واضطراب لا تسكن فيه نفس ولا يثبت فيه جسم والخوف يزيد وينمو حتى يحدث في النفوس انفعالات واضطرابات مختلفة ، فالمرضعة ذاهلة عن طفلها الذي ترضعه وهي التي عليه حاضنة تضمه إلى صدرها وتضعه في حجرها وتحفه بيديها تؤمنه بكل ذلك فإذا جاءت الساعة ذهلت عن كل ذلك .. والطفل نفسه من هول ما يرى وهو لا يعي دخله الخوف فتحول شعر رأسه الحديث الخلق الأسود الحالكة إلى أبيض ناصع من الخوف لقد شاب من هول ما رأى فكيف والحوامل من كل خلق من إنسان أو حيوان من هول ما رأى مضطرب حتى أسقط كلُّ حملة

الذي في بطنه من أجنة ، وعموم الناس في اضطراب وعدم تركيز وعدم قدرة على الوقوف كالسكارى ترنحاً وتمايلاً . هذا الانفعال الحاد من هول ما وقع جعل الناس في أوضاع مختلفة .. لا ينقذهم منه إلا التقوى التي أوصى الله بها في صدر هذه السورة .

المطلب الخامس : الاستغاثة

طلب الغوث ، والغوث يحصل لمن وقع في شدة وكرب يخشى معه المصرة الشديدة ، أو الهلاك ^(٢٠) ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ {٩} وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {١٠} إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ {١١} إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرِّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ {١٢} ﴾ سورة الأنفال والنبي استغاث لأنه لم يأت لبدر محارباً ولكنه فوجئ بقريش تأتي محاربة لعدد يساوي ثلاثة أضعافهم وواجهوا هذا العدد بعزيمة رغم أن بعضاً منهم كان كارهاً للحرب ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ {٦} ﴿ الأنفال في هذه الشدة والمحنة استغاث رسول الله ﷺ قائلاً : (اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَذُ فِي الْأَرْضِ) ^(٢١) حتى سقط رداؤه والتزمه أبو بكر رضي الله عنه وقال : كفاك مناشدتك لربك فإنه منجز ما وعدك . وجاء الغوث من بعد الاستغاثة مدداً بالملائكة والطمأنينة والمطر وغسلاً لما علق بالنفوس من رجس الشيطان ووساوسه وكتب الله تعالى للمسلمين في هذه الغزوة نصراً رفع هاماتهم إلى أعلى وحط منزلة الكفرة إلى أسفل وهربوا من ساحة المعركة بعد القتل والأسر .. وكان ما وعدوا به ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ {٤٥} ﴿ القمر

المطلب السادس : الصراخ

إذا اشتد الألم ، وغلب الانفعال على النفس انفجر الإنسان صارخاً ، ففي الصراخ تعبير عن قوة الانفعال وقسوة ما تجد النفس من ألم .. وفي ذلك متنفس وتخفيف ، والصراخ والبكاء عند الأطفال لغة وتعبير يعرف بها حاجتهم للأكل والشرب والنظافة . ويوم القيامة أهل النار يصرخون فيها مما يجدون من العذاب يقول تعالى : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ ويجئ الجواب من الله تعالى ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ {٣٧} سورة فاطر مطلب لا يستجاب له ولا يلتفت إليه لأن أحكام الله لا تصدر عن هوى لكنها عن عدل وعلم وعمل جاء به صاحبه إلى القيامة فهو الذي أدخل نفسه في النار لأن النذير جاءه فلم يستمع ولم يؤمن ، وفسح الله له في العمر ليؤمن فلم يفعل وحذر من هذا المصير فلم يحذر .

المطلب السابع : الصعق

الصعق : غشي من صوت لسمعه والصاعقة : الوقع الشديد من صوت الرعد (٢١) قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ {١٤٣} سورة الأعراف هذا هو اللقاء الثاني لله تعالى بعبده موسى عليه السلام ، فاللقاء الأول في الطور كان للرسالة وهو عائد من مدين ، وهذا بعد أن أخرج بني إسرائيل من مصر إلى سيناء ، جاء ليعطيه ربه التوراة فلما كلمه ربه طلب موسى من ذي الجلال والإكرام أن يراه .. والله عز وجل أعطاه تجربة تريه استحالة رؤيته للمولى عز وجل فقال : ﴿لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ ولكن الجبل بعد تجلي الله

عليه انهيار وتحول من جبل صلب الحجارة إلى كتيب من الرمال لشدة عجزه عن قدرة تجلي الله عليه ، ولما رأى موسى ما وقع للجبل ملأه الخوف حتى خر صعباً فاقدًا الوعي مدة .. ثم أفاق وأعلن توبته عن مثل هذا السؤال .
أن رؤية بعض الأشياء لترفع درجة الخوف إلى أقصاها فيفقد الإنسان قدرته على التحمل فيخر فاقدًا الوعي .. وهذا أصعب حالات الانفعال والخوف .

وما طلبه موسى ﷺ من رؤية ربه في لقائه الثاني بربه ، كرره بنو إسرائيل في اللقاء الثالث لموسى مع ربه فقد عبدوا العجل حين كان موسى في لقاء ربه الثاني ، فعنفهم ثم اختار منهم سبعين رجلاً صالحاً وساقهم معه للقاء ربه الثالث ليعتذروا عن عبادة العجل ، والصالحون لما خاطب الله موسى وهم يسمعون قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة . فأخذتهم الصاعقة أجمعين فهلكوا ، فاعتذر موسى لربه عما فعل قومه فأحياهم بعد الموت . رؤية الله عز وجل مستحيلة في الدنيا ، ومأمولة في الآخرة لقوله ﷺ : (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، فافعلوا) (٢٣)

المبحث الثالث

الحزن والأسى

المطلب الأول : الحزن

وقوع الأحداث _ مفاجئة وغيرها _ يحدث في النفس انفعالاً يترك أثره كآبة وحزناً تحول بين الراحة ومتعة الحياة ، وتقرب النفوس من فقدان الرغبة في الحياة وقد تقود لتمني الموت . وقد بلغ الحزن ببعض الناس مدى يقعد بصاحبه حتى عن الحركة والراحة ويفضي إلى قتل النفس . وقال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ الكهف (٦) إن حزن النبي ﷺ على عمه أبي طالب وأهل القرابة منه الذين لم يؤمنوا بلغ مداه الذي كاد أن

يفقد الرسول ﷺ بسببه حياته ، لأنهم أحب الناس ، وهم حماة الدين ويريد لهم الخير .. وهو يعلم أن مصير من لم يؤمن نار جهنم وكيف وهو يراهم _ بعين النبوة _ يدخلون النار طوعاً بأنفسهم أنه الألم الممض والحزن الطويل ، ولكن ماذا يفعل غير أن يحزن عليهم .. وقد ماتوا على ذلك وراهم ﷺ على ذلك . في الصحيح عن العباس بن عبد المطلب قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : (هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) (٢٤) وعن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي ﷺ وقد ذكر عنده عمه فقال : (لعله تتفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه) (٢٥)

المسألة الأولى : حزن النبي ﷺ (غماً بغم)

الغم هو : (الكرب الشديد يحصل للقلب بسبب ما حصل) (٢٦) في غزوة أحد صف النبي ﷺ المقاتلين من المسلمين ، فوضع الفرسان في ثغرة في أعلى الجبل أمرهم ألا يغادروها أن رأوا المسلمين منتصرين أو منهزمين .. وحين بدأت المعركة أفلح المسلمون في هزيمة الكفار حتى تركوا ساحة المعركة هاربين ورأى الرماة الفرسان أن العدو قد أنهزم وخرج من الساحة هارباً فتركوا الثغرة التي أمروا ألا يغادروها رغم تحذير أميرهم مذكرهم بقول النبي ﷺ فجروا يجمعون الغنائم وتركوا الثغرة فنفذ منها خالد بن الوليد ومن معه وأحدثوا في صفوف المسلمين ضربة منكرة قتلوا سبعين من المسلمين وفر المسلمون هاربين إلى المدينة فأدخلوا الأسى والحزن في قلب النبي ﷺ . فجازاهم الله غماً بغم ، غموا النبي ﷺ وأحزنوه بالمخالفة وغمهم الله تعالى بذهاب النصر الذي أعطاهم إياه في بداية المعركة وقال تعالى : ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنِ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ {١٥٣} سورة آل عمران

وحزن النبي ﷺ لموت عمه حمزة ؓ الذي أحدث في صفوف الكفار هزة جعلتهم يهربون من ساحة المعركة لكن ترصده وحشي الذي جاءت به هند بنت عتبة لقتل حمزة ليصبح حراً ، وزاد حزن النبي ﷺ على حمزة وإخوانه السبعين حين رأى أن الجثث قد مُثِّلَ بها ولقد قطعت هند أنوف الشهداء وآذانهم وصنعت منها عقداً لبسته انتقاماً لمقتل أبيها وأخيها وعمها في غزوة بدر . لقد حزن النبي عليهم حتى قرر أن يمثل بسبعين من المشركين في المعارك القادمة لكن الله انزل عليه يقول : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ {١٢٦} وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ {١٢٧} إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ {١٢٨} ﴿ سورة النحل وصبر ﷺ على ذلك الأذى .

المطلب الثاني : الأسى : أسى قوم شعيب ؑ :

الأسى : الحزن (أساه فتأسى) (عزاه فتعزى) (٢٧) الأسى وهو أخف من الحزن ، قال تعالى مخاطباً موسى ؑ : ﴿فَإِذْ هَبَّ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَفَاقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ {٢٤} ودعا الله تعالى وقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ {٢٥} ورد الله تعالى عليه وقال : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ {٢٦} ﴿ سورة المائدة يخفف الله تعالى على موسى الأسى بأن قومه فاسقين عصاة فلا يأس ولا يحزن على الفاسقين . والملا من قوم شعيب ؑ لما جاءهم بالهداية حاربوه وأرادوا إخراجهم من القرية أن لم يعد ومن معه إلى الكفر مرة أخرى ، والملا من قومه قالوا لئن اتبعتم شعيباً إنكم لخاسرون ، أدى كل هذا التصرف والإصرار على الكفر والمعاكسة للنبي الذي جاءهم أرسل الله إليهم صاعقة فأهلكتهم أجمعين قال تعالى : ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ

اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ {٩٠} فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ {٩١} ﴿ سورة الأعراف ومر بهم شعيب وهم صرعى وهلكوا وكانوا هم الخاسرين الذين خسروا الدنيا والآخرة والذين وقفوا في طريق الدعوة أن تبلغ للناس هلكوا وسارت الدعوة وبلغت الناس قال شعيب : ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ {٩٣}﴾ الأعراف لم يأس ولم يحزن على قومه الذين هلكوا ، لأنهم لم يسمعوا نصحه ولم يستجيبوا لدعوته فهلكوا .. فلا أسف ولا أسى ولا حزن على من مات كافراً^(٢٨).

المبحث الرابع

الغضب والتضجر

المطلب الأول : الغضب

يُحْدِثُ فِي النَّفْسِ انْفِعَالًا حَادًّا قَدْ لَا يَتِمَّاكَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ فِيهِ فَيَنْقَلِبُ عَنَّا وَعَدَوَانًا

المسألة الأولى : غضب الله تعالى على قارون

قال تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ {٧٦} وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْتَسِ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ {٧٧} قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ {٧٨} فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ {٧٩} وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ {٨٠} فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوْنَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ

مِنَ الْمُنتَصِرِينَ {٨١} ﴿ سورة القصص قارون أنكر أن الله أنعم عليه ، ولما خرج في زينته متباهياً ، وقد أغضب الله عليه ، خسف به وبداره الأرض غضباً عليه .

المسألة الثانية : غضب الله تعالى أخذاً بالغرق لفرعون وهامان

﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ {٥٥} فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ {٥٦} ﴾ سورة الزخرف (آسفونا : أغضبونا) ^(٢٩) هذا هو فرعون الذي ادعى الإلهوية ، ليعبد من دون الله . وادعى الربوبية أيضاً ليعبد ويقس فقال : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ {٥١} ﴾ أم أنا خيرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَاذُ يُبَيِّنُ {٥٢} فُلُوكَ أَلْقَىٰ عَلَيْهِ أَسُورَةً مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ {٥٣} فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ {٥٤} فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ {٥٥} فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ {٥٦} ﴾ الزخرف ليعلم استعباده للنسر وامتلاكه لهم فهم عباده وخدمه وله التصرف فيهم كيف شاء ، وهم يأكلون من تحت يديه لأنه كما قال : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ {٥١} ﴾ أم أنا خيرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَاذُ يُبَيِّنُ {٥٢} ﴾ وفرعون يخشى أن يجهر موسى بدعوة التوحيد فيتحول الناس إلى عبادة الله ويتركوا عبادته فلهذا أراد قتله . فالعباد تحت سيطرته ويأكلون من خيره .. فأغضب الله تعالى بهذا القول ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ وأخذه بقوله ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ {٢٤} ﴾ وقوله : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ القصص (٣٨) قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ {٥٥} ﴾ أخذ الله فرعون ومن معه غرقاً ، وأخرج بدنه إلى البر ليكون عظة وعبرة لغيره حتى لا يدعي ما ادعاه أحد من بعده .. فيقع فيما وقع فيه فرعون . وفرعون عندما أدركه الموت تخلى عن دعواه وقال : ﴿

آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٩٠} ﴿ ولم يقبل الله إيمانه فأهلكه وأخرج بدنه إلى البر ليبقى آية شاهدة على قدرة الله وبطشه بكل جبار ومتكبر. إن إدعاء الإلوهية جريمة ، فالآله واحد لا إله غيره ، قال الله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ محمد (١٨) فلا يتعدد الإله أبداً ، والرب الذي يكفل العباد ويرزقهم ويعافيه ويحييهم ويميتهم هو الله لا رب غيره ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ {٧٨} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ {٧٩} وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ {٨٠} وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ {٨١} ﴾ الشعراء فادعاء ما ليس للإنسان جريمة خدع بها فرعون الناس وأجبرهم على عبادته ومنع دعوة الله لتصل الناس فأغضب الله فأهلكه ، وأخرج جثته لتكون عظة للحكام بعده حتى لا يطفوا (٣٠).

المسألة الثالثة : غضب الله تعالى على اليهود

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ {٨٩} بِنِسْمَا اسْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ {٩٠} ﴾ سورة البقرة بنو إسرائيل قبل بعثة رسول الله ﷺ كانوا على علم به ﷺ اسماً ووصفاً في كتابيهم التوراة والإنجيل ، وبما أخبرهم به رسولاهم موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام وأمرهم أن يتبعوه ، وظلوا طوال القرون يتطلعون إلى ظهوره حتى أن (بحيرا) الراهب في بصرى عندما رآه صغيراً مع عمه أبي طالب في تجارة إلى الشام عرفه وأمر عمه أن يرجعه إلى مكة خوفاً عليه من اليهود لما رأى فيه من علامات النبوة وكان اليهود في المدينة إذا دخلوا في معركة استفتحوا داعين قبل القتال سائلين الله تعالى أن ينصرهم على عدوهم بحق النبي الذي أظل زمانه فينصرهم . قلما جاءهم محمد ﷺ بنفس

الصفات والاسم الذي عندهم كفروا به وأبوا أن يتبعوه لأنه من العرب وكانوا يحسبون أنه سيكون من اليهود . فلهذا ناصبوه العداً وحاربوه فلعنهم الله وطردهم من رحمته بعد أن استفتحوا به معرفة ويقيناً لأنه عربي ، واستكبروا أن ينزل الله فضله ورحمته ونبوته على العرب واليهود موجودون كأن المولى عز وجل ياتمر بأمرهم فغضب الله تعالى غضباً أولاً وغضباً ثانياً ، أما غضبه الأول فإنه تعالى أكرمهم بأن نزل عليهم المن والسلوى وظلل عليهم الغمام فقالوا لن نصبر على طعام واحد وأرادوا الثوم والبصل والبقل والقثاء والعدس .. فاختاروا الأدنى على الأعلى الذي اختاره الله لهم . فضرب الله تعالى عليهم الذلة والمهانة والمسكنة وغضب عليهم ، وقال : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَدَعَا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ وَمَنْ لَّهُمْ بِهِمْ كَيْدٌ ﴾ سورة البقرة . لقد غضب على اليهود مرتين لكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء فقد قتلوا يحيى بن مريم عليه السلام وكانوا يعصون أنبياءهم حتى دعا موسى عليه السلام ربه فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ {٢٥} وكانوا يعتدون على غيرهم كما اعتدوا على رسول الله ﷺ وحاولوا قتله مرات .. وحاربوه في بدر وأحد والأحزاب . استحقوا الطرد من رحمة الله واستحقوا غضبه ولهذا أوصى الله تعالى المؤمنين من هذه الأمة وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ {١٣} المستحقة تصرفات اليهود كلها لا تدل على احترام للمولى عز وجل ولا لأنبيائه ولا لرسله ولا للمؤمنين وهم الذين وصفوا الله عز وجل بالبخل فقالوا : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ وقالوا ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ وعادوا جبريل عليه السلام وقال الله تعالى راداً عليهم : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى

لِلْمُؤْمِنِينَ {٩٧} مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ
لِلْكَافِرِينَ {٩٨} ﴿البقرة﴾ هذا عدا قولهم رمياً لمريم بالبهتان العظيم وسبهم لموسى
عليه السلام ، هؤلاء أخط الخلق منزلة وسلوكاً .. وأين يتجهون بعد غضب الله
تعالى عليهم وطردهم من رحمته ، أن النار هي مأواهم

المسألة الرابعة : غضب الله تعالى على الوليد بن المغيرة

قال تعالى : ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا {١١} وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا {١٢} وَبَنِينَ
شُهُودًا {١٣} وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا {١٤} ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ {١٥} كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا
عِنْدًا {١٦} سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا {١٧} إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ {١٨} فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ {١٩} ثُمَّ قُتِلَ
كَيْفَ قَدَّرَ {٢٠} ثُمَّ نَظَرَ {٢١} ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ {٢٢} ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ {٢٣} فَقَالَ إِنْ
هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ {٢٤} إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ {٢٥} سَأَصْلِيهِ سِقَرٌ {٢٦} وَمَا
أَدْرَاكَ مَا سِقَرُ {٢٧} لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ {٢٨}﴾ المدثر هذا هو الوليد بن المغيرة
من زعماء قريش الذين وقفوا معادين للإسلام ولرسوله ﷺ وللمؤمنين وعذبوا
المؤمنين .. انعم الله عليه بالمال الممتد من مكة إلى الطائف وغيرها والبنين
الكثيرين الحاضرين حوله والزعامه .. وصف القرآن ومجده ، فلما سمعت
قريش قوله استغزوه وقالوا ، سمعنا أنك أتيت محمداً تأكل عنده فأستتكر
وطالبوه بأن يقول في القرآن قولاً ينفي ما قاله أولاً فقال : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْتَرُ {٢٤} إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ {٢٥}﴾ غضب الله تعالى بقوله هذا ووصف
القرآن الكريم بالسحر الذي يفرق بين المرء وزوجه .. ووصفه بأنه قول البشر
لا قول الله تعالى .. أخفى الحق الذي يعلمه ونطق بهذا القول الكذب ونسب
القرآن للبشر لا لله تعالى .. فاستحق غضب الله ولعنته واستحق عذابه في نار
سقر التي قال عنها ﴿لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾ أي أن وضع فيها ذاب وزال وانمحي
ثم يعاد من جديد للعذاب . أن الكذب على الله ومخالفة الحق ابتغاء الدنيا
والزعامة بيع رخيص للنفس البشرية ومخالفة للحق الذي جاء به الله هداية

للنشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور فجازاه الله تعالى بما يستحق فألقاه في سقر لا تبقي ولا تذر (٣١) .

المسألة الخامسة : غضب الله تعالى على كعب بن الأشرف

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ {٥١} أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ {٥٢} ﴿ النساء

كعب بن الاشرف من زعماء بني النضير ، وممن كان كفار قريش لهم به صلة، جمعت بينهم التجارة أولاً ثم العداوة للدين والنبي ﷺ وللمؤمنين ، فسألوا كعباً يوماً ، ما جاء به محمد ﷺ من توحيد الله ترك لعبادة الأصنام خير أم ما نحن عليه خير ؟. سألوه باعتبار اليهود أهل دين وأهل كتاب وكثر فيهم الأنبياء فهم عند قريش مؤتمنون ، ولكن كعباً خالف الأمانة وخان أصحابه وغشهم وقال كاذباً : بل ما أنتم عليه الحق .. فجعل عبادة الأصنام أفضل وأكرم عند الله من الذي بعث الله تعالى به رسوله محمداً ﷺ من التوحيد وعبادة الله وترك عبادة الأصنام ، لقد كذب وجعل عبادة الشيطان أفضل من عبادة الله ، فلعنه الله تعالى وطرده من رحمته . ففقد النضير والمعين الذي يخرجهم من اللعنة التي حلت به وذلك جزاء من غش وخدع وقال بالباطل وأخفى الحق الذي يعلمه (٣٢) .

المسألة السادسة : غضب رسول الله ﷺ

كان ﷺ لا يغضب لنفسه وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله من ذلك غضب عندما جاءه أسامة ليشفع في حد من حدود الله ، ومع حبه لأسامة إلا أنه غضب لشفاعته في الحد فقال : (أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ؟؟) (٣٣) وغضب يوم قتل أسامة في معركة رجلاً قال : لا اله إلا الله ومع ذلك قتله ، قال له رسول الله ﷺ : (أقتلته بعد أن قال لا اله إلا الله ؟ فكيف بلا اله إلا الله يوم القيامة ؟) قال : قالها وقاية من القتل قال : (أشققت عنه قلبه ؟؟) وظل

يردد ﷺ : (فكيف بلا اله إلا الله يوم القيامة يا أسامة) . حتى قال وددت لو أنني أسلمت تلك الساعة ^(٣٤) . محلم بن جثامة قتل عامر بن الأضبط ومحلّم في سرية جاءت لنشر الإسلام فسلم عليه عامر بن الأضبط مبيناً إسلامه ولكن محلم قتله لضغينة بينه وبين عامر ثم أخذ متاعه فلما بلغ الخبر رسول الله ﷺ وجاءه محلم مستغفراً قال له رسول الله ﷺ : (لا غفر الله لك) فقام وهو يتلقى دموه ببرديه، فما مضت له سابعة حتى مات، ودفنوه، فلفظته الأرض، فجاعوا إلى النبي ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: ("إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم، ولكن الله أراد أن يعظكم من جرمتكم") ثم طرحوه بين صدفى جبل وألقوا عليه الحجارة ^(٣٥)

المسألة السابعة : غضب موسى ﷺ على أخيه هارون

قال تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلِيلِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ {١٤٨} وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {١٤٩} وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمٍّ إِنَّ قَوْمَ اسْتَزْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {١٥٠}﴾ الأعراف ذهب موسى ﷺ للقاء الله تعالى بعد أن أخرج بني إسرائيل من مصر إلى سيناء وذهب ليعطيه ربه التوراة ، واستخلف أخاه هارون من بعده وأوصاه بالإصلاح في القوم فجمع السامري الذهب الذي أخذته نساء بني إسرائيل من المصريات ليلة خروجهم من مصر وصهره وصنع منه عجلاً عبده بنو إسرائيل في هذه الفترة أخبر الله تعالى موسى بما فعل قومه من بعده ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ {٨٥} طه ، فلما عاد غاضباً من تصرفات بني إسرائيل وحسب أن أخاه قصر من بعده فأخذ برأس

أخيه يجره إليه وهو غضبان ، فلما أخبره هارون بأنه حاول منعهم من عبادة العجل كادوا أن يقتلوه فتركهم وشأنهم ، فلذا عفا عن أخيه . لقد غضب موسى لانتهاك حرمة التوحيد وقيام دعوة الشرك التي قادها السامري . واشتد غضبه على هارون وامتدت يده إليه معنفاً فلما انجلت الحقيقة هداً غضبه واستغفر لأخيه .

المسألة الثامنة : غضب موسى على السامري

واتجه إلى السامري ، فاستجوبه فقال : ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ {٩٥} قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي {٩٦} طه ثم دعا عليه قال : ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ {٩٧} طه لقد دعا عليه موسى ﷺ وأصابته هذه الدعوة وتوعده الله بغضبه وعقابه . فقال : ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ﴾ لقد أضل السامري بني إسرائيل وأخرجهم من نور الهدى الذي أدخلهم فيه موسى ﷺ وأدخلهم في الظلمات من جديد ، لقد غضب الله على من بدل الدين وأضل الناس وأعادهم إلى عبادة الأصنام .. ليشركوا بالله تعالى ويضلوا عن الهدى .. فكان هو الشيطان الرجيم.

المطلب الثاني : التضجر

قال صاحب الصحاح في اللغة : الضجر هو : القلق من الغم ، وضجر البعير : كثر رغاؤه {٣٦} ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهِهُ أَفْ لَّكُمَا أَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَبِئْسَ الْأُولَئِينَ﴾ {١٧} سورة الأحقاف حالة من الضيق انتابت هذا الولد نحو والديه اللذين يدعوانه للإيمان بالله واليوم الآخر بعد أن عرفا هذا الحق وأرادا لأبنيهما

أن يسير في طريق الإيمان بالله واليوم الآخر ليسعد يومئذ بهذا الإيمان ، والولد لم يعرف ما عرفه الأبوان ولم يذق حلاوة ما ذاقا .. فبين الاثنين فارق كبير وكثرت دعوة الوالدين للابن جعلته يتأفف ويتضجر من قولهما المستمر له فانفعل بكثرة ما قالوا وضاق صدره بذلك فعبر عن هذا الضيق بقوله : (أُفَّ لَكُمْ) والتي نهى الله تعالى أن يقال للوالدين ، ولكنه الانفعال والضيق فأخرجه من اللياقة والأدب إلى هذا التأفف ، وهو لا يرى في مشاهد الحياة ما يدل على صدق ما يقول الوالدان لقصور نظره وقلة خبرته وجهله بربه جل وعلا (٣٧).

المبحث الخامس

الندم والتحسر

المطلب الأول : الندم

الندم حالة من الأسى والأسف ، تصيب الذي لم يحسن الاختيار في الأشياء ، ففضل بعضاً على بعض ويكون الضرر فيما اختار ، ويكون الخير فيما أبعد وترك فأصابه الندم على ذلك الاختيار كالذي جاءته الرسالة فأبى أن يتبعها رغم ما قدّم الأنبياء من معجزات ودلائل وآيات ليعرفه بالله ليعبده فاختر ما ألف واعتاد من عبادة الأصنام على ما جاءه من الهدى والخير ، فانكشف الحق في القيامة وعرف سوء الاختيار بعد ذلك فعرف مصيره إلى النار والخلود الأبدي فيها فندم على ما فعله فعبر عما أصابه من انفعال بالعض على كلتا يديه أسفاً وندماً وهي من أشد حالات الانفعال الإنساني بما يشبه الهستيريا .. جنوناً وانھیاراً وفقداناً للعقل . قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ {٢٧} الفرقان هذه صورة من الآخرة ينقلها القرآن الكريم للناس عظة وعبرة وقد وقع هذا الظالم في سوء عمله ، بعد أن دُعي إلى الإيمان فلم يؤمن ، وخالف الرسول الذي جاء لهدايته ، واتبع الضالين من شياطين الإنس فزينوا له المخالفة فخالف وشاركهم في معصية الرسول

وترك طريق الهدى حتى جاءه الموت .. فإذا هو أمام ما أخبره به الرسول ﷺ إذا هو حي بعد موت وإذا القيامة ، وإذا الجنة والنار ، وإذا الناس كلهم في صعيد للحساب ، وأدرك أنه من أهل النار فتحسر وندم وعضَّ على يديه في هستيرية شديدة .. وندم أشد الناس وقال ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ وهل يرد الندم ما فات ؟ لقد أهلك نفسه وحق له الندم وعض اليدين في جنون فإنها الآخرة والمصير التعيس والعذاب السرمدي وغضب الله والناس . والفاعل إنما هو الذي اختار ولم يحسن الاختيار ودعى فلم يُجب .. كالذي أوتي كتابه بشماله فقال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ {٢٥} وَلَمْ أَذُرْ مَا حِسَابِيَةَ {٢٦} يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ {٢٧} مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ {٢٨} هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ {٢٩} ﴾ الحقة ثم أمر به إلى النار فهو تمنى أن لو كانت الموتة قاضية لا تعقبها حياة يتمنى أن لا يدري الحساب ولا الجزاء ، فالمال الذي شغل به حياته لم يُغن عنه في الآخرة بل هو الذي أبطل حجته في القيامة لأنه عندما سئل عن عمره فिम أفناه .. وجده في جمع المال ولم يلتفت إلى ما خلق من أجله فما له إلا الندم زاده في الطريق الطويل الذي لا ينتهي .

المسألة الأولى : ندم مريم عليها السلام

قال تعالى : ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مِّنْسِيًّا {٢٣} ﴾ سورة مريم مريم البتول الطاهرة العفيفة ، التي وهبتها أمها لخدمة بيت الله وكفلها الله زكريا فكان لها مكان خاص في بيت الله لا يدخل عليها أحد إلا زكريا ، وكان كلما دخل عليها وجد عندها رزقاً وحين سألها عنه قالت : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ {٣٧} ﴾ آل عمران ومريم فوجئت يوماً برجل يقف أمامها وهي في خلوتها في بيت الله فاستعازت بالله منه فخاطبها بأنه رسول من عند الله ليهب لها غلاماً زكياً .. وتعجب كيف يكون لها غلام ولم تتزوج من قبل وما كانت فاجرة ولا عاهرة ، ولكن الملك بلغها أن الله هو

الأمر بذلك ، وأن المولود سيكون معجزة من معجزات الله يشاهدها الناس ويعرفونها ، وحملت بعبسى وفجأها المخاض إلى جذع النخلة ، وحينها أحست بمرارة لقاء أهلها وهي تحمل جنيناً ولدته . فكيف يصدقها الناس ، وبلغ بها الهم أقصاه وتمنت الموت من مرارة ما ستشاهده وما تلاقيه من الناس وقيل :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانياً^(٣٨)

وخاطبها ابنها وهو في بطنها فقال : ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ {٢٤} وَهَرِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُ عَلَيْكِ رُطْبًا جَنِبًا {٢٥} فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ {٢٦} سورة مريم

إن حمل فتاة لم تتزوج يدمر نفسها وأسرتها ويجعل بيتها ساقط الاعتبار والقيمة والمنزلة عند الناس ، فكثيراً ما تغطي الأسرة حمل فتاتها بقتلها محووا للعار وستراً للشرف ، وكثيراً ما تطردها الأسرة من البيت وتنفيها عنها وتجعلها تهيم على وجهها تعيش كيف تشاء وكثيراً ما ترضى بعض الأسر بالعار يجللها وتصير أسرتها منطوية على ما أصابها من عار مهينة ذليلة خافضة .

ومريم ترى كل ذلك وتعرفه ، وتعلم أن المجتمع لا يرحم فلذا تمنت الموت على الحياة التي ينهشها فيها المجتمع . غير أن عناية الله أدركتها ونفى الله عنها ما رماها به اليهود من بهتان فقال : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ التحريم (١٢)

المسألة الثانية : تحسر الكفرة يوم القيامة

الحسرة : أشد الندم^(٣٩)

قال تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ {٤١} يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ لِلَّهِ حَدِيثًا﴾ {٤٢} سورة النساء ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ

الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً {٤٠} سورة النبا حالتان من حالات الندم ينقلها القرآن من عرضات يوم القيامة وقد جرى الحساب وعرف كل موقعه ، والندم يومئذ يملأ النفوس حتى لا تجد لها مخرجاً إلا أن تتمنى أن لو تدس في التراب فتدفن فيه ولا تخرج منه إلى مصيرها التعيس . وأخرى تتمنى أن لو كانت حيواناً اقتص منه ثم قيل للحيوانات كوني تراباً بعد أن تحقق العدل وزال الظلم من كل تصرفات الخلق تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ {١٧}﴾ غافرو الحالتيان هما حالتا الكفار الذين لم يؤمنوا ولم يلتفتوا إلى ما من أجله خلقوا وما جاءتهم به الرسل فبعضهم كفر وسببه قال : (تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كَفَرَسِي رِهَان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى نذكر هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه)^(٤٠). والقرآن يقول : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ {٣٣}﴾ سورة الأنعام واليهود كفروا تكبراً أن يكون النبي من العرب وهم يحتقرونهم ، وجاءت القيامة ليحل الندم والتحسر مكان التكبر والعناد فما أصبرهم على النار .

المسألة الثالثة : ندم المنافقين

قال تعالى : ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ النساء (١٤٣) المنافق مذذب لا هو مؤمن مستقر في ساحة الإيمان ولا هو كافر منغمس في ظلام الكفر ، فهو بين حالتين ، والمنافقون في المدينة يومئذ رأوا الإسلام يدخل البيوت والقلوب في سرعة وقوة ، فأثروا إعلان الإسلام وإخفاء الكفر فعاشوا مسلمين ظاهراً وظلوا كافرين باطناً .

في الحروب يخافون ويجبنون عند اللقاء ويخافون الموت فهم كما قال المولى عز وجل ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالْسِنَةِ حَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا {١٩}﴾ الأحزاب

فإذا أعلن الخروج إلى معركة واستعد الناس للقتال وتأهبوا له .. بطأ المنافق حتى إذا خرج الجيش وعاد وعاد النبي ﷺ والمسلمون فإن كان تمت هزيمة حمد الله أن جلس ولم يخرج وإن غنم المسلمون ندم على عدم الخروج وتحسر أن فاتته تلك الغنائم ، فالمنافق همه الدنيا والمال ولا صلة له بالآخرة ونعيمها ، فإن فاتته هذه الدنيا كانت حسرته عظيمة وندمه أشد وهو يرى المسلمين وقد عادوا وزادت حصيلتهم من الدنيا وهو لا يصيبه شيء من تلك الغنائم .. فعاش الحياة ندماً وأسفاً يقول : ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيْطَنَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً ﴾ {٧٢} وَلَنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنْ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً {٧٣} ﴿ النساء

المسألة الرابعة : ندم صاحب الجنتين

قال تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴾ {٣٢} كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا {٣٣} وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا {٣٤} وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا {٣٥} وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا {٣٦} قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا {٣٧} لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا {٣٨} وَلَوْ أَنِ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِذْ تَرَى أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَلَوْلَا {٣٩} فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا {٤٠} أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا {٤١} وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأُصْبِحَ يُقْلَبُ كَفْنِهِ عَلَى مَا أُنْفِقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا {٤٢} وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا {٤٣} هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

عُقْبَاً {٤٤} ﴿ الكهف صاحب الجنتين بلغت به نشوة الغنى والفرح والانفعال أقصى حدّها حتى أنّه أصاب جنّته بالعين ﴾ ﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ وأنكر الآخرة ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ وحتى لو كانت هنالك آخرة فلي هناك أفضل من هذه ﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ وتباهى بما عنده على الذي يحاوره بأنّه أكثر منه مالا وبنين وعشيرة ، لقد زها وتطاول وفرح فرحاً أخرجه من دائرة العقل والاتزان . وواجهه صاحبه بالإيمان والرزانة الحقّة ﴿ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ؟؟ ﴾ ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ ﴿ وَلَوْ أَنِ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ لكنت حفظتها من العين ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا {٣٩} فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا {٤٠} أَوْ يُصْبِحَ مَاوُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا {٤١} وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأُصْبِحَ يَقْلَبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أُنْفِقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا {٤٢} ﴾ لقد بلغ به الفرح غايته حتى أصبح بطراً ونزل به الفقر والعدم في حينه فكان كالذي سقط من السماء فهوت به الريح في مكان سحيق ، لقد فقد ما كان ملء السمع والبصر ونزل به الفقر إلى العدم وهي حالة تحدث في نفس صاحبها حزناً وندماً مقيماً لا يفارقه ، خاصة وأنّه لا يملك رصيذاً من الإيمان يواجه به المحن والشدائد والنوازل وهكذا غضب الله حين ينزل بالعبد بعد كفر النعمة . لقد عاش يقلب كفيه حسرةً وندماً وألماً ويأساً على كل كلمة سيئة خرجت من فيه حين كان غنياً . وهذا درس يسوقه الله لأمثاله من المتكبرين حتى يعلموا أنّه بالشكر تدوم النعم وتبقى (٤١) .

المسألة الخامسة : ندم أصحاب الجنة

قال تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ {١٧} وَلَا يَسْتَنْتَوْنَ {١٨} فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ {١٩} ﴾

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ {٢٠} فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ {٢١} أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ {٢٢} فَاَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ {٢٣} ﴿ القلم

أصحاب هذه الجنة كصاحب الجنتين جمعهم كفر النعمة وهؤلاء بخلوا بالنعمة وقرروا حرمان المساكين مما كان يأتيهم من حق الله فيها ، فلما قرروا الحرمان حرموا هم أنفسهم من حديقتهم فأحرقها الله تعالى فلما وصلوها مبكرين أنكروا ما رأوا إذ الحديقة لا أثر لها ثم علموا أنهم قرروا حرمان المساكين فحرمهم الله تعالى ، لقد أصبحوا فقراء بعد غنى ، أذلاء بعد عز وهؤلاء ضرب الله حالهم بحال أهل مكة الذين وهبهم الله نعمة الإسلام تنبت في بلادهم لتنتقل إلى العالم ، فلم يقبلوا ذلك فحرموا من ذلك وانتقلت النعمة لأهل المدينة الذين آووا المسلمين ونصروهم وانتشر النور من هناك ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ {٨} ﴾ الحشر

المطلب الثاني : التحسر

التحسر هو : اسم للندم وحقيقته أن يلوم نفسه على تفريط منه ، وقال البقاء : غم يصيب الإنسان يتمنى أن ما وقع منه لم يقع ^(٢) قال تعالى : ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ {٥٦}﴾ الزمر آية تنبيه من الله تعالى للعباد ليؤمنوا قبل أن يأتي يوم القيامة فيتحسر من لم يؤمن وقد ذهب الدنيا ولم يؤمن وكان ساخراً من المؤمنين وجاءت الآخرة وليس له محل وليس له مكان إلا النار فيتحسر على التفريط .

وقال تعالى : ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {٣٩}﴾ مريم يقول تعالى لنبيه ﷺ أن يحذر أمته من يوم القيامة ، فمن لم يؤمن سيتحسر ويندم على عدم الإيمان الذي أتيح له في الدنيا ولا إيمان في الآخرة .

المبحث السادس

الحياء

قليل حيي : سخي رقيق الوجه (٤٣)

الحياء : الخجل

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (الأحزاب ٥٩) هذا أدب الله تعالى لعباده ، وقد دعاهم النبي ﷺ إلى وليمة زواجه من زينب بنت جحش فأكلوا وبعضهم جلسوا يستأنسون والنبي ﷺ يريد خروجهم فلم يستطع أن يقول لهم ذلك ، حياء وخجلاً فتولى الله عنه ذلك وأمر الناس أن يتفرقوا بعد الطعام . فنزلت فيهم هذه الآية وفيها حجاب وستر نساء النبي ﷺ حتى يتميزن من غيرهن عامة الناس . وقال تعالى : ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قُبُلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (٥٦) الرحمن والقرآن يصف نساء الجنة بأنهن قاصرات الطرف أدباً وحياءً ويقصرن طرفهن على الأزواج وقال رسول الله ﷺ : (استحيوا من الله حق الحياء) قال قلنا : يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله قال : (ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء) (٤٤)

والحياء جمال ما بعده جمال والنبي ﷺ يقول : (الحياء خير كله) (٤٥) وقوله : (إذا لم تستحي فافعل ما شئت) (٤٦) والحياء حاجز من الفواحش فإن فقد فليصنع من فقدته ما شاء فإنه بعد ذهاب الحياء كل شيء جائز الوقوع لفقدان الحياء الذي يحجز ويمنع .

المبحث السابع

الانفعال المتعدي

ونعني به تجاوز الانفعال من النفس إلى التعدي على الآخرين ويشمل : القتل ، الضرب ، السب ، النقل ، الخنق ، الطرد وغير ذلك .

المطلب الأول : القتل

قال تعالى : ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ {٣٠} المائدة وقال : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ {٩٢} وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ {٩٣} النساء

الانفعال النفسي يتطور ، ويشتد الغضب ويتحول إلى عنف وإلى تعدي على الخصم ويقضي عليه قتلاً والشيطان في هذا الموقف يزيد من غضب القاتل ، ويهون عليه التعدي والقتل ويذكره بكرامته المهذرة وعزته المهضومة وحقه الذي غبنه ، فلذا يتعدى ويقتل انتصاراً لحقه الذي غبنه ورداً لكرامته وعزته ثم بعد القتل يندم أشد الندم لأن الشيطان إنما كان ينفخ فيه ويغريه حتى إذا ارتكب الجرم تخلص منه وتركه للغم يؤذيه .

والقتل تعدي على حق يملكه الله ، فالنفس إنما خلقها الله تعالى وهو المتصرف فيها وصاحبها التي ركبها الله فيه ليس له حق التصرف فيها . فإن قتلها فقد وقع في عقاب الله كالذي ينتحر بوسيلة يزهق بها نفسه فالرسول ﷺ يقول : (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً) (٤٧) وكذلك من تحسى سماً واستعمل أي وسيلة قتل بها نفسه .

وجزاء القاتل يوم القيامة أن يأتي حاملاً المقتول على ظهره يشخب دماً ويقف به بين يدي الله تعالى ويقول المقتول لله تعالى : (يا رب سلّه فيم قتلني) (٤٨) ويؤمر به إلى النار .

وابن آدم قابيل قتل أخاه هابيل فكانت أول جريمة ارتكبت في الدنيا ، ولهذا سنّ هذا سنة القتل فالنبي ﷺ يبين أن ابن آدم الأول له نصيب من كل جريمة قتل ، عليه وزر مثل وزر القاتل . والقتل أبيع في أضيق نطاق كما قال النبي ﷺ : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة) (٤٩) لا يحل قتل النفس ، حتى لمن قتل لهم قتيل فإن الإسلام نهى عن الثأر وأمر الحاكم أن يقتص من القاتل : وخير أهل القتل بين العفو والدية والقصاص . والنبي ﷺ يقول : (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً) (٥٠) فإن أصاب وقتل فقد ضيق على نفسه وحرّمها من رحمة الله .

والنبي ﷺ تعرض _ بسبب دعوته إلى الله _ إلى محاولات قتل متعددة منها : اجتماع قريش في دار الندوة وإجماعهم على قتله فأذن الله له في الهجرة (٥١) ثم تأمر اليهود على قتله يوم جاء لبني النضير في دارهم يطلب نصيبهم في دية قتيلين قتلها أحد من أهل المدينة فأجلسوه حتى يأتوا إليه بالدية ولكنهم تأمروا على قتله بإلقاء حجر عليه فجاءه الخبر من السماء فقام ثم أجلاه من المدينة (٥٢) ثم حاولوا قتله بالسحر الذي فعلوه له فخلصه الله منه (٥٣) ثم سمّت له اليهودية في خبير ذراع شاة لنقتله فلما أخذ منه قطعة ليمضغها أخبره الذراع أنه مسموم (٥٤) . اليهود كما قال تعالى : ﴿ أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ {٨٧} البقرة ثم الحروب التي خاضتها قريش كلها ضده قصد منها قتله فانجاه الله منها ومحاوله شديدة بن عثمان بن أبي طلحة الذي قتل أبوه في أحد . قال : اليوم أدرك ثأري من محمد

اليوم أقتل محمداً قال فأردت برسول الله ﷺ لأقتله فأقبل شئ حتى تغشى فؤادي. فلم أطق ذلك وعلمت انه ممنوع مني ^(٥٥) ومن قبل قتل اليهود نبي الله يحيى عليه السلام لأنه صدع بكلمة الحق في شأن فتاة أرادت أن تتزوج عمها ليصبح ملكاً وهي الملكة ^(٥٦) والتعدي بالقتل تحت ستار الجهاد فعله بعض الصحابة : بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد بن الأسود فلما جاءوا إلى القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير لم يبرح فقال : أشهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد فقال له رجل من أصحابه : أقتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله ؟ فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال للمقداد : (أقتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله ؟ فكيف بلا إله إلا الله غداً ؟) فانزل الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ النساء الآية (٩٤) ^(٥٧)

المطلب الثاني : الضرب

الضرب نوعان : للتأديب والجهاد

للتأديب :

قال تعالى : ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ {٣٤} النساء وقال رسول الله ﷺ : (مروهم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لثلاث عشرة) ^(٥٨) نهى عنه رسول الله ﷺ بقوله : (فإن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح) ^(٥٩) والضرب غير المبرح هو الذي لا يدمي ، ولا يترك أثراً في الجسم ، وإنما للتخويف والاهانة .

للجهاد :

أمر الله به فقال : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ {١٢} الأنفال وقوله : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ {٤} محمد هذا ضرب أمر الله تعالى به للكفار لأنهم فئة لا خير فيها ووقفت معاندة لله ورسوله ولدينه .

المطلب الثالث : النسب

قال تعالى : ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ {١٤٨} النساء يعلم الله تعالى إن عبده قد يستفز ويدفع إلى القول السيئ دفعا ، وتبلغ درجة التحمل عنده أقصاها فينفرط عقد الصبر وينفعل الإنسان سباً وشتماً لمن استفزه وأثاره ، فالله تعالى يعذر عبده في هذه الحالة . ودرءاً للمفاسد نهى الله المسلمين أن يسبوا أصنام المشركين ومتعبداتهم حتى لا يسب المشركون والكفرة الله تعالى جهلاً وعدواً قال تعالى : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {١٠٨} الأنعام ونهى رسول الله ﷺ عن السباب فقل : (ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا الفاحش البذيء) ^(٦٠) وقال : (إن من أكبر الذنوب أن يسب الرجل والديه قالوا وكيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه) ^(٦١) قال ابن إسحاق : مر أبو جهل برسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره فلم يكلمه رسول الله ﷺ وعلم حمزة بالأمر فدخل المسجد فرآه جالسا مع القوم فأقبل نحوه حتى قام على رأسه وقال له : أنشتمه

وأنا على دينه أقول ما يقول ، فرد علي إن استطعت ، وقام رجال من قريش ليناصروا أبا جهل فقال لهم : دعوا أبا عمارة فإنني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً (٢٢) .

المطلب الرابع : الخنق

والنبي ﷺ تُعَذِّبُ عَلَيْهِ ﷻ يوم نزل عليه قوله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ {٩٤} الحجر فصعد على الصفا ونادى القبائل ثم قال لهم : (إني نذيركم بين يدي عذاب شديد) ثم بين أن الآلهة لا تنفع ولا تضر فهناك شكاه قومه إلى عمه وقالوا إن ابن أخيك سب آلهتنا وسفه أحلامنا وفرق جماعتنا وعاب ديننا فلما جاء من الغد استلم الركن تعرضوا له وهو طائف فغمزوه ثم وقف وقال لهم : (تسمعون يا معشر قريش إما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح) فأخافتهم كلمته ، فانكشفوا عنه وحاولوا استرضاءه ، وقالوا ، (انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولاً). فلما جاء من الغد إلى المسجد وثبوا إليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون : أنت الذي تعيب آلهتنا وتسفه أحلامنا ؟ قال : (نعم أنا الذي أقول ذلك) فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه فقام أبوبكر ﷻ دونهم وهو يبكي ويقول : (أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه فكان ذلك من أشد ما لقي من قريش (٢٣)

المطلب الخامس : الطرد

وقد حدث هذا بين إبراهيم ﷺ وأبيه ، بعد أن بلغه الدعوة وهداه إلى الصراط المستقيم وأن الأصنام التي يعبدونها لا تنفع فقال لأبيه : ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ {٤٢} يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً {٤٣} يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً {٤٤} يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً {٤٥} ﴿﴾ مريم فكان رد أبيه : ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ

لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا {٤٦} ﴿﴾ مريم والهجر الملي هو الهجر الأبدي الذي لا رجعة فيه ، ففارق إبراهيم أباه وقومه ووطنه وهاجر إلى فلسطين ، وهاجر من بعده محمد ﷺ من مكة إلى المدينة بعد أن قرر كفارها قتله فأذن الله له في الهجرة ، وهاجر الصحابة إلى الحبشة ثم إلى المدينة بعد التعذيب وما زال الهجر قائماً وإن استبدل بالسجن والأذى حتى لا يخرج الشخص من قبضة أعدائه .

المطلب السادس : التفل

التفل نوعان : للتحقير وللعلج

للتحقير :

وهو إرسال البصاق في وجه الخصم إهانة له وتحقيراً ويفعله كثير من الحمقى مما يدفع الخصم للانتقام ممن تفل ويقع كثيراً بين الناس في الشجار .

للعلاج :

تفل رسول الله ﷺ في عين علي بن أبي طالب _ وكان بها رمد _ وهو بخير حين قال : (لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله عليه ليس بفرار) ^(٦٤) فشفي في الحين . وتفل ﷺ على جرح الحرث بن أوس الذي كان خامس جماعة ذهبوا لقتل كعب الأشرف الذي قال فيه رسول الله ﷺ : (من لي بكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله) فقتلوه لكن سيوفهم أصابت زميلهم الحرث فجرحته فلما قدموا على رسول الله ﷺ وأخبروه بقتله تفل على جرح الحرث فبرئ في حينه ^(٦٥) .

الخاتمة

وبعد ففي الآثار التي تحدثت من غضب وفرح وحزن وندم وغيرها تبين أن الانفعال يحدث من تأثير خارجي على النفس . وغالباً ما يحدث الانفعال ضرراً عليها ، وقد يصبغها بهذا التأثير حتى لا تتفك منه . فإن من الانفعالات ما يذهب العقل وإن منها ما يحدث كآبة لا تزول ومنها ما يبقى حزناً مقيماً لا يبارح وكلها انفعالات تضر النفس وتؤذيها إلا قليلاً ومن الذي ينفع الإنسان يقية الانفعال هو عامل الإيمان القوي ، فالمؤمن واع مستتير يتوقع الخير والشر على السواء حتى إذا حدث شيء من ذلك مر على النفس وهي مطمئنة ساكنة متوقعة ذلك لأسباب منها:

المعرفة بما وعد الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ {١٥٥} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ {١٥٦} ﴾ البقرة . ولقوله ﷺ : (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن إصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له) ولقوله ﷺ : (لا تغضب . لا تغضب . لا تغضب) فكلها وصايا من حفظها وعمل بها انتفع وارتفع ونجا من آثار الانفعال ، فالوقاية خيرٌ من العلاج .

والبعد عن طاعة الله سببٌ يجعل الشيطان يحتل الفراغ الذي حدث بسبب تخلي الإنسان عن الطاعة .. فيوجه الشيطان بعد ذلك الإنسان إلى ما فيه ضرره وهلاكه والإنسان لا يحس بذلك ، كما بين القرآن الكريم فقال : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ {٣٦} وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ {٣٧} ﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدُ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ {٣٨} ﴾ الزخرف وفي الذكر منجاة بعد وقوع الحدث فאלله تعالى يقول : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ

الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا {٨٢} الإسراء وهكذا ففي الذكر وقاية وفي الذكر علاج لكل تلك الانفعالات وآثارها .

فالتوصية :

١. أن لا يغفل العبد عن ذكر الله .
٢. الصلة بالله حماية للإنسان من الأضرار النفسية والبدنية على السواء .
٣. في القرآن علاجٌ لبعض الأوجاع والأمراض كان يأخذ بها رسول الله ﷺ .
٤. الطب له مكانةٌ مقدرةٌ فهناك أمراضٌ لا بد لها من الطب كالجراحات وغيرها .

قائمة المصادر

- ١- الإصابة في تمييز الصحابة تأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني دار الفكر بيروت
- ٢- تاج العروس تأليف الزبيدي طبع في المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ
- ٣- تفسير ابن كثير لإسماعيل بن كثير طبعة مؤسسة الريان بيروت ١٩٩٩م
- ٤- التمهيد لشرح كتاب التوحيد لابن عبد البر طبع وزارة الأوقاف والشنون الإسلامية بالمغرب طبعة ١٩٨٢م
- ٥- تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣ - ١٩٩٣م
- ٦- ديوان المتنبي دار الفكر بيروت ١٩٩٧م
- ٧- السيرة النبوية لإسماعيل بن كثير دار الكتب الحديثة بيروت
- ٨- السيرة لابن هشام تخريج وتحقيق محمد بن سلامة وخالد بن محمد بن عثمان مكتبة الصفا طبعة ٢٠٠١م
- ٩- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن محمد عيسى بن سوره الترمذي المكتبة الرشيدية دلهي - الهند
- ١٠- الصحاح في اللغة للجوهري دار الفكر بيروت ١٩٩٧م
- ١١- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت
- ١٢- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) دار أبي حيان للطباعة والنشر والتوزيع طبعة ١٩٩٥م

- ١٣- لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم طبعة دار الفكر بيروت ١٩٩٨م
- ١٤- المحكم المحيط الأعظم لابن سيده مطبعة دار الفكر بيروت ١٩٩٨م
- ١٥- المحيط في اللغة لمؤلفه صاحب بن عباد طبعة بيروت ١٩٩٤م
- ١٦- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٦٤)
- ١٧- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين لمحمد الخضري دار الكتب العلمية بيروت

الهوامش

- (١) المحيط في اللغة ج ٢/٢٤١ 1
- (٢) المحكم المحيط ج ٢/٢٣
- (٣) البخاري ج ١٥/٤٣٩ حديث رقم ٤٦٣٩
- (٤) البخاري ج ١/٣٩ حديث رقم ٧٣
- (٥) السيرة لابن هشام ج ٤/٣٥
- (٦) السيرة لابن هشام ج ٣/٢٢٦ تخريج وتحقيق محمد بن سلامة وخالد بن محمد بن عثمان مكتبة الصفا طبعة ٢٠٠١م
- (٧) الصحاح في اللغة ج ١/٤٦
- (٨) المحكم والمحيط الأعظم ج ٣/٦٩
- (٩) لسان العرب ج ٤/٦٨
- (١٠) انظر ابن كثير ج ٢/٣٧٧/٣٨٠
- (١١) المحكم والمحيط الأعظم ج ١/٦٢
- (١٢) البخاري ج ٢/٦٤٠/٦٤١
- (١٣) الويل : الحزن والهلاك والمشقة من العذاب وكل من دفع في هالكة دعا بالويل ومعنى النداء فيه يا حزني ويا ويلي ويا هلاكي ويا عذابي أحضر بهذا وقتك وأدائك / لسان العرب ج ١١/٧٣٧
- (١٤) انظر ابن كثير ج ٤/٧٧
- (١٥) المحيط في اللغة ج ١/٩٤
- (١٦) البخاري ج ١ / ١٢٨ حديث رقم ٣٢٨
- (١٧) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين لمحمد الخضري دار الكتب العلمية بيروت صفحة ٣٠
- (١٨) لسان العرب ج ٨/٢٥١
- (١٩) تاج العروس ج ١/٤٤٦
- (٢٠) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ج ١/٢٤٢
- (٢١) صحيح مسلم ج ٣/١٣٨٣/٥٨

- (٢٢) المحيط في اللغة ج ١/١٢
- (٢٣) صحيح البخاري ج ١/٢٠٣ رقم ٥٢٩
- (٢٤) صحيح البخاري ج ١/٥٤٨ باب قصة أبي طالب
- (٢٥) صحيح البخاري ج ١/٥٤٨
- (٢٦) تاج العروس ج ١/٧٨٣٩
- (٢٧) لسان العرب ج ١٤/٣٤
- (٢٨) انظر ابن كثير ج ٢/٢٤٥
- (٢٩) لسان العرب ج ٩/٥
- (٣٠) انظر القرطبي ج ١٦/٦٨
- (٣١) انظر ابن كثير ج ٤/٤٤٢
- (٣٢) انظر القرطبي ج ٥/١٦١
- (٣٣) البخاري ج ٢/٢٤٩١ حديث رقم ٣٢٨٨
- (٣٤) البخاري ج ٢/٢٢٤٣ حديث رقم ٦٨٧٢
- (٣٥) ابن كثير ج ٢/٣٨٤
- (٣٦) الصحاح في اللغة للجوهري ج ١/٤٠٥
- (37) انظر القرطبي ج ١٦/١٣١
- (38) ديوان المتنبي ج ١/٣٠٠ قصيدة يمدح بها كافور الإخشيدي سنة ٣٤٦هـ
- (39) انظر لسان العرب ج ٤/١٨٧
- (40) السيرة لابن هشام ج ١/١٨٥
- (41) انظر ابن كثير ج ٣/٨٣
- (42) تاج العروس ج ١/٧٩٠٦
- (43) لسان العرب ج ٦/٣٠٧
- (44) سنن الترمذي ج ٤/٦٣٧
- (45) صحيح مسلم ج ١/٦٤
- (46) صحيح البخاري ج ٢/١٢٨٤
- (47) صحيح مسلم ج ١/١٠٢١ حديث رقم ١٧٥
- (48) مسند الإمام احمد ج ٤٧/١٣٦ حديث رقم ٢٢٠٨٣
- (49) صحيح البخاري ج ٦/٢٥٢١ حديث رقم ٦٤٨٤
- (50) صحيح البخاري ج ٦/٢٥١٧ حديث رقم ٦٤٦٩
- (51) السيرة لابن هشام ج ٢/٨١

- (52) السيرة لابن هشام ج ٣/١١٢
- (53) ابن كثير ج ٤/٥٧٣
- (54) السيرة لابن هشام ج ٣/٢٢١
- (55) السيرة لابن هشام ج ٤/٥٩
- (56) انظر تفسير الآية (٨٧) البقرة
- (57) ابن كثير ج ١/٥٣٩
- (58) مسند الإمام أحمد ج ١٤/٥/رقم ٦٤٦٧
- (59) السيرة النبوية ج ٤/١٧٢
- (60) مسند احمد ج ٨/١٨١ حديث رقم ٣٦٤٦
- (61) مسند احمد ج ١٤/٨٣ حديث رقم ٦٥٤٥
- (62) السيرة لابن هشام ج ١/١٦٨
- (63) السيرة لابن هشام ج ١/١٦٨
- (64) السيرة لابن هشام ج ٣/٣٨٦
- (65) انظر السيرة لابن هشام ج ٢/٤٣٦